المصدر: الوفد
التاريخ: ١٩٩٨/٥/٧

أنور السادات

الذين قرأوا «البحث عن الذات» للزعيم الراحل أنور السادات، أمامهم فرصة أخري، يواصلون فيها «البحث» عن حياة ذلك الرجل العظيم، علي نحو مختلف.

والفرصة هذه المرة، أكثر متعة، لأنها رحلة بالصورة، وليست بالكلمة، باللقطة النادرة، وليست بالحرف السمائد الجامد، بالنظرة المحملة بالمعاني، وليست بالعبارة الصامتة الساكتة التي لا تبوح!

إن مركز الأهرام للترجمة والنشر، يضع ٦١ عاماً، هي العمر الذي عاشه أنور السادات، علي صفحات كتاب مصور، يجسد حياة الرجل، من مولده الي لحظة رحيله الفريدة، بالصورة - لا بغيرها - والتي هي - بالقطع - أبلغ من الكلام.

وقد كنت أظن، أني سوف «أتفرج» علي الكتاب، في دقائق، وبسرعة، ثم أطويه، وينتهي الأمر، وكأنه مجرد «ألبوم».

ثم تبينت، أنه لو كان كتاباً عادياً، بغير صور، لكان الوقت الذي قضيته معه، أقل بكثير، مما أنفقته في تأمل كل صورة من صور هذا الكتاب، واستدعاء معانيها، واستحضار زمانها وأيامها وربما رائحتها.

ان الكلمة، أو الجملة، أو العبارة، لا تتيح لك، أكثر من معني واحد في بعض الأحيان، أو حتي معنيين في أغلب الأحايين، هذا انا لجأت - أي الكلمة - الي الصور البلاغية، في تصوير ما تريد قوله، ولكن الصورة الفوتوغرافية، تختلف كثيراً، حين تعطي من الايحاءات، وتمنح من الدلالات، ما تعجز عن الوفاء به ألوف الكلمات، مهما كان حجم بلاغتها، ومساحة سلاستها.

ولأن صاحب الكتاب، واحد من عظام هذا القرن ورجاله السابقين السامقين، ولأن الذين التقطوا له تلك الصور، كوكبة من أبرع الذين وجهوا الكاميرا وواجهوها وضبطوها، فإن وقوفك بين صفحات الكتاب، أو بمعني أدق بين صور الكتاب، سوف يطول، وسوف تجد نفسك متأملاً للصورة الواحدة، من زوايا مختلفة، ومدققاً في تراكيبها، ومتطلعاً الي تفاصيلها، ومستمتعاً علي الاجمال، من البداية الي الختام.

غلاف الكتاب ذاته، لوحة بديعة، للسادات العظيم، وهو يشمخ في عزة وكبرياء، بجوار الأهرامات ليكون التعليق غير المكتوب علي الغلاف: شموخ علي شموخ.

أما ما بعد الغلاف، أو ما بين

أنور السادات

الغلافين، فهو كبرياء موزع بالتساوي علي الصفحات.

وفي كل صورة، سوف تخرج بانطباع، غير الذي خرجت به، من الصورة السابقة، ومما سوف تطلع به، من الصورة اللاحقة.

ويدعم ذلك، عاملان مهمان: الأول حسن اختيار باقة الصور التي يضمها الكتاب، والثاني - وربما كان هو الأهم - أن السادات كان قادراً علي أن يبدو بشكل مختلف، من موقف لآخر، ولو مر بألف موقف في يوم واحد، كانت ملامح وجهه، تتبدل بصورة عجيبة، من مشهد لآخر، حتي يبدو لك، وكأنه رجل مغاير، أو شخص غير الذي نعرفه.

ومن ميت أبوالكوم، الي مختلف عواصم العالم، وأغلب مدن مصر وفي كل بقعة حل فيها الرجل، تظل الصورة ناطقة بما لم يقله هو، وبما لم يصرح به الذين ظهروا معه في الإطار.

اقرأ الصور، ولا تتفرج عليها، تر كيف يتبدى الرجل كبيراً من كل الزوايا، وعظيماً في جميع الأحوال، وكيف أن الصمت - صمت الصورة - أشد وقعاً في النفس من أي كلام، وأقدر علي مداعبة الخيال.

سليمان جودة